

تاريخ السودان القديم: لمحة عامة

د. السمانى النصرى محمد أحمد*

Abstract

Man in the Sudan has well documented himself in the register of the history of humanity by what he achieved of development during history since the prehistoric ages up to the modern period.

Successive cultural periods flourished in its lands influenced from now and then by its neighbors , but many prehistoric elements continued during pre-kerma and Kerma periods which is regarded as very important epoch in the Sudanese history. This cultural accumulation in the Kushite state persisted for about 1300 years. During this long span of time, it reached its political zenith , extending and ruling Egyptian lands for about a century (mid 8th mid 7th C.B.C), known in the Egyptian history as the 25th dynasty (the Sudanese or kushite dynasty). Its power also extended up to the Levant. Many classical suppositions were raised concerning the origins of its kings, but for sure they were not foreigners and most probably the successors of the kings of Kerma, as they share a number of customs and traditions , which even go back to earlier periods.

Religious beliefs , particularly that of god Amon has played an important role in the foundation , settlement and continuity of the country. all the affairs and policies of the kingdom were derived from the wish and power of god Amon and other gods. The stability of the political system is one of the main features of that state , as there were no internal troubles' or changes in the ruling family during those 13 centuries but there are many reasons which led to the ignorance of the origin and elements of this civilization.

مستخلص:

خُلد إنسان السودان نفسه في سجل تاريخ البشرية، بما حققه من إنجازات في سلسلة تطوراته عبر مسيرته الطويلة، فمنذ العصور الحجرية وحتى العصر الحديث،

◆ نائب مدير مركز الدراسات السودانية والدولية، جامعة الزعيم الأزهرى، السودان

1 حمل السودان خلال تاريخه الطويل كثير من الأسماء، بعضها يدل على صفات السكان، والآخر على شيء من بيئته، كما أن مصطلح السودان كان في العصور الوسطى يشمل كل المنطقة الواقعة ما بين المحط الأطلسي والبحر الأحمر غرباً وشرقاً والصحراء الكبرى، والمناطق الاستوائية شمالاً وجنوباً، كما أن من أكثر الأسماء شيوعاً وتوافقاً مع السودان الحالي اسم "كوش"، ولذلك سنستخدم الاسمين للدلالة على السودان الحالي، وسكان سودانيون أو كوشيون.

ازدهرت في السودان حضارات متعاقبة، اتصل بعضها بالآخر، كما انفصل في بعض الأحيان، كما أثرت وتأثرت في من حولها. فكثير من سمات العصور الحجرية ظلت مستمرة خلال فترة المجموعات، فقد كانت متصلة ببعضها من خلال العادات والتقاليد التي سادتها، واستمرت خلال فترة حضارة كرمه التي شكلت حلقة مهمة و متميزة في تاريخ السودان القديم.

أفرز هذا التراكم دولة كوش، التي استمرت لحوالي ١٣٠٠ عام. وفيها بلغ السودان أقصى اتساع لرقعته السياسية، حيث ضم إلى جانب حدوده الحالية، كل الأراضي المصرية لمدة تقارب القرن، عرفت هذه الفترة بالأسرة الخامسة والعشرين الكوشية. كما امتد نفوذها حتى الشام، وعلى الرغم من الافتراضات الكلاسيكية حول أصل ملوك هذه الفترة، إلا أن المؤكد أنهم لم يكونوا وافدين، بل أحفاد ملوك كرمه، ويمكن ملاحظة التشابه في كثير من السمات والعادات والتقاليد بين هذه الدولة وفتريات سابقة لها، ترجع لفترة المجموعات وكرمه على أقل تقدير.

لعبت المعتقدات الدينية، وخاصة الإله آمون دوراً أساسياً في تأسيس الدولة واستقرارها واستمرارها، إذ أن كل أمور الملكة وقراراتها كانت تستمد من إرادة وقوة الإله آمون، وغيره من الآلهة، وكان استقرار النظام السياسي من أبرز سمات هذه الدولة، حيث لم تحدث أي حالة فوضى، أو تغيير في البيت الحاكم طوال ثلاثة عشر قرناً من الزمان. ولكن هنالك أسباب كثيرة أدت إلى عدم المعرفة بسمات هذه الحضارة وأصالتها.

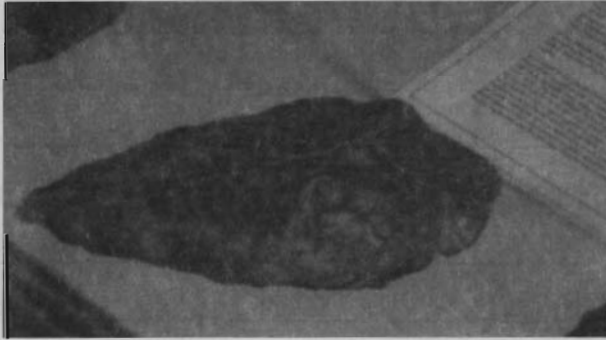
العصور الحجرية:

أقدم دليل على استيطان الإنسان في السودان - تم اكتشافه حتى الآن - الجمجمة التي وجدت في سنجيه، وتنتمي إلى العصر الحجري القديم^١. ويرجع تاريخها إلى حوالي ٢٥٠ ألف سنة قبل الميلاد، وأنها تشبه إلى حد ما أفراد قبيلة البوشمن (Bushmen)، التي تعيش في جنوب غرب أفريقيا.

1 Hintze F.: Civilization of the Sudan, Kerma-Kush-Christian Nubia, (Translated) from German by Peter Prchnik, Amsterdam, 1968, p.9.

وفي مواقع أثرية كثيرة في وسط وشمال السودان توجد أعداد كبيرة من أدوات العصر الحجري القديم^١، وتدل بقايا الأدوات الحجرية التي خلفها الإنسان في الصحراء - ما بين أسوان والخرطوم - على أن هذه الجهات لم تكن دائماً مجدية، ومن المحتمل أنها كانت أراضي غابية مروية تختلف عن الأراضي القاحلة غير الأهلة كما هو حالها الآن^٢. ونسبة لهطول الأمطار الغزيرة يعتقد أنه كانت هنالك كميات أكبر من الأعشاب^٣، وقد أثبتت الاكتشافات الحديثة في بلاد كوش أن النيل قبل أن يشق مجراه الحالي منذ حوالي ٥٠,٠٠٠ سنة، كانت له عدة فروع في داخل الصحراء^٤. وعلى ضفاف تلك المجاري نشأت في السودان المجتمعات المعقدة، ويرتبط وجود الإنسان ونشاطه عادة بما يتوفر له من عوامل الحياة والبقاء، وبدأت نشاطات الإنسان تتطور وفق احتياجاته وإمكانياته ومعارفه المحدودة.

وكان إنسان ذلك العصر صياداً يعيش على صيد البر والبحر، ومما يجمعه من ثمار الأشجار^٥. ولم تنشأ الحياة الزراعية في بلاد كوش إلا في نهاية العصر الحجري^٦. وكانت منطقة قليلة السكان، لكن في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد، بدأ سكان كوش في التزايد بشكل ملحوظ، وقد اكتشفت مقابر كثيرة في الجزء الشمالي من شمال السودان، يرجع تاريخها لتلك الفترة^٧.



(فأس أشولية من أم درمان)

1 Ibid, p.9.

2 Emery, W.M.B.: Egypt in Nubia, London, 1965, p. 123.

3 Arkell, A.J: A history of the Sudan from the earliest times A.D., 1821, second edition Oxford University, 1961, p. 26.

4 مُحَمَّد إبراهيم بكر: المدخل إلى تاريخ السودان القديم، المطبعة الفنية، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ١٦.

5 Arkell: Op. cit, p. 32.

6 Adams, W. Y.: Nubia Corridor to Africa, London, 1977, p. 117.

7 Emery: Op. cit, p. 123.

والنشاط الإنساني في ذلك الوقت كان وثيق الارتباط بحوجة المجتمع بأكمله، ويبدو أن زيادة السكان قد صاحبها نوع من تقسيم العمل والأدوار حتى استطاع إنسان العصر الحجري القديم تخليد نفسه بما خلفه من آثار. أما فترة العصر الحجري الوسيط (١٠,٠٠٠ ق.م)، فقد عرفت من واقع المخلفات الأثرية التي عثر عليها في مناطق متفرقة، وتطورت عن طريق جامعي الطعام الذين كانوا يعيشون في المستقعات على طول ضفاف النيل^١، ولم يتم تعقب سلالات السكان حتى العصر الحجري القديم، ولكن المسح الأثري الذي قامت به مصلحة الآثار السودانية لموقع شمال محطة السكة حديد بالخرطوم - وهو الموقع الذي شيد عليه مستشفى الخرطوم الحالي - بيّن أنهم زنوج، وأنهم بصناعتهم واستعمالهم للفخار قد اتخذوا أول خطوة نحو الحضارة في العالم^٢.

والفخار المميز لحضرة الخرطوم القديمة، وجد في مواقع متفرقة من السودان ما بين كريمة وكوستي على النيل والأبيض، وما بين وادي هور في الغرب (شمال دارفور)، وكسلا في الشرق^٣، وهذا الانتشار يشير إلى أن ذلك المجتمع لم يعرف حياة الاستقرار، وربما كان في حالة تنقل دائمة من مكان إلى آخر حسب متطلبات الحياة وتقلبات المناخ.

وكان إنسان الخرطوم القديمة يدفن موتاه قرب مساكنه، وقد وجدت العظام البشرية مهشمة بطريقة تدعو للاعتقاد بأنهم كانوا يرحلون عن مساكنهم لفترة من الزمن، فتأتي الحيوانات وتأكل ما تجده من الجثث وتهشم العظام^٤. كذلك كان إنسان الخرطوم القديمة يزيل القواطع العليا للجنسين، وهذا تقليد لا يزال في السودان^٥. وامتدت هذه العادة قديماً وورثتها الشهبان التي لا تزال بقايا آثارها تقف شاهداً على التطور الاجتماعي والثقافي المتواصل للعصر الحجري الحديث، ويعتبر فخار الشهبان تطور لفخار الخرطوم القديمة^٦. وربما كانت الشهبان محطة من محطات إنسان الخرطوم لقرب موقعها من منطقة الخرطوم، حيث تبعد حوالي ثلاثين ميلاً شمال أم

1 Hintze: Op. cit, p. 9.

2 Arkell: Op. cit, p. 24.

3 Ibid, p. 28.

4 Ibid, p.27.

5 Arkell: Op. cit, p. 25.

6 Ibid, p. 29.

درمان على الضفة الغربية للنيل. وقد ازدهرت هذه الثقافة حوالي ٣٩٠٠ ق.م، كما يؤرخ لذلك الكربون ١٤ المشع^١.

فترة ما قبل كريمة (المجموعات):

استمرت سمات العصور الحجرية في بلاد كوش مستمرة في سلسلة من التطورات المادية والاجتماعية، وفي أواسط الألف الرابع قبل الميلاد، برزت ملامح ثقافة محلية متقدمة في بلاد كوش، وكانت متطابقة إلى حد ما مع الفترة السابقة. وليس هنالك ما يميز أولئك الذين ينتمون لهذه الثقافة في السمات العرقية عن أولئك الذين ينتمون لفترة العصور الحجرية^٢.

وقد أطلق رايزنر على هذه الثقافة اسم المجموعة الأولى (A Group)، ولا تزال تحمل هذا الاسم، ولم يعرف أصلها بشكل قاطع، وربما انحدروا من سلالة أصحاب حضارة العصر الحجري الوسيط والحديث.

وعثر على مجموعات كبيرة من القبور منتشرة على نحو واسع في مركز سكاني في بلاد كوش، يرجع تاريخها إلى (٣٥٠٠ - ٣١٠٠ ق.م)، وهؤلاء هم الذين أسسوا ثقافة المجموعة الأولى^٣.

تميزت حضارة هذه المجموعة عن الفترات التي سبقتها بعدة مميزات، منها:

١. زراعة الحبوب: وهي دليل واضح لنمو اقتصادها، حيث اكتشفت مخلفات الحبوب المتفحمة للقمح والشعير ونواة التمر (بموقع عافيا)، وربما أيضاً زراعة محاصيل كانت معروفة لدى المصريين كالخس والفجل والبصل.

أما اكتشاف عظام الأبقار والأغنام والخراف وروث البهائم، فهو دليل آخر على استئناس أهل المجموعة الأولى للحيوان. وما ثبت عن استخدامهم للأبنوس وبيض النعام، تؤكد جميعاً الثراء المادي العريض الذي كان يتمتع به أهل هذه الحضارة. وربما كان طعامهم مكوناً من اللحوم والأسماك والخضروات، وربما منتجات الألبان. فهم قوم مستقرون بدليل ارتفاع أعداد مقابرهم التي أخذت عدة أنواع.

1 Arkell: Op. cit, p. 25.

2 Emery: Op. cit, p. 124.

3 Arkell: Op. cit, p. 37.

٢. لقد كانت لهم عادات وتقاليد جنائزية، تمثلت في أنواع الدفن والأثاث الجنائزي، وهي:

- النوع الأول عبارة عن حفرة ببيضاوية الشكل، وعمقها حوالي ٨٠ سم.
- النوع الثاني عبارة عن حفرة ببيضاوية الشكل، وعمقها حوالي ١٣٠ سم، بها جزء منخفض في جانب من جوانبها.

والشكل الخارجي للنوعين عبارة عن كوم ترابي عليه حجارة يصل ارتفاعه إلى ٤ أمتار. أما المتوفى فكان يرقد داخل القبر كشكل الجنين في بطن أمه (شكل قرفصائي). حيث يحاط المتوفى بالأواني الفخارية (التي كانت تستخدم لتناول الطعام والشراب) والأدوات الحجرية والنحاسية، وأدوات الزينة (من أسورة، وحجول، ودلايات، وعقود من مختلف المواد).

٣. أما صناعتهم، فقد تمثلت في صناعة الفخار، وهي من أميز السمات الحضارية التي وفرت احتياجات المجتمع من الأواني المنزلية، كما أنها تميزت بجودة الصناعة. وعكست جزءاً من فنونهم بألوانها الزاهية وزخرفتها الجميلة. كما صنع أهل المجموعة الأولى الملابس من الجلد والقماش، التي وجدت نماذج منها في القبور (بها تُلَف الجثة)، والمساكن والرسوم. ومن الصناعات الأخرى لديهم صناعة البروش والسلال، والمصنوعات المعدنية كالقؤوس والأزاميل من النحاس (ربما مستوردة من مصر)، بينما يرى تريقر أنهم استغلوا النحاس بمنطقة الشلال الثاني وصدّروه لمصر، وربما صدروا أيضاً معادن أخرى كالذهب.

وشهدت نهاية هذه الفترة توتراً في العلاقات مع مصر، وامتد النفوذ المصري جنوباً حتى منطقة الشلال الثاني في عهد الملك جر، وقد فسر النقش الذي وجد على سفح جبل الشيخ سلمان على أنه تسجيل لغزو الشلال ووادي حلفا، ويظهر في النقش سفينة مطابقة لسفن الأسرة المصرية الأولى، وقد تدلى من مقدمتها حبل علق عليه زعيم سوداني، وتحتها أناس كوشيون غرقى، وإلى اليسار من الملك المصري شكل يمثل مدينتين كوشيتين، وقد جثم على إحدهما الإله حورس، وفي نهاية الطرف الأيسر للوحة نقش اسم الملك ججر، وتصوير لشخص ربطت يدها إلى الخلف وهو يحمل القوس

الرمز الدال على بلاد كوش^١. ويمكن اعتبار هذا النقش أقدم دليل على الحملات المصرية في التاريخ الكوشي^٢.

وقد أدت سياسة الاقتصاد المركز خلال الفترة المبكرة للأسرة الأولى إلى انهيار تجارة بلاد كوش مع مصر، وأدى ذلك إلى ضعف واضمحلال في بلاد كوش استمر لفترة من الزمن، وقد فسر رايزنر ذلك بأنه ملامح ثقافية لحضارة منفصلة، وأطلق عليها اسم المجموعة الثانية (B Group)^٣، بينما أشارت الدراسات اللاحقة إلى عدم وجود هذه الثقافة^٤. وربما أثبتت الدراسات الجارية^٥ هذا الافتراض أو دحضته.

وفي أثناء فترة حكم الأسرة السادسة عمت الفوضى في مصر، وبدأ التدخل الأجنبي في الشمال مما أجبر المصريين لأن يرخوا قبضتهم على بلاد كوش^٦، وقد أدى ذلك التدهور في قوة مصر لظهور حكام مستقرين في (النوبة السفلى)، ذوي ثقافة محلية عرفت بثقافة المجموعة الثالثة (C Group)، ويبدو أنهم قدموا من جهة الجنوب^٧. وفي هذه الفترة شهدت بلاد كوش تطوراً جديداً، وبرزت سمات الثقافة المحلية في شكل متقدم، وأهم ما يميز هذه الثقافة من الوجهة المادية، الزيادة المتدرجة في حجم وديمومة المستوطنات، ولم تظهر الحياة القروية بشكلها الناضج، إلا في الفترة الأخيرة للمجموعة الثالثة^٨. ويبدو أنه في خلال هذه الفترة قد ظهرت ملامح المجتمع المستقر، وأنها كانت الخطوة الأولى أو الأساسية للحياة الكوشية المستقرة، التي برزت بصورة أوضح في حضارات كرمه ونبته - مروى، واستمرت في التطور الاجتماعي والاقتصادي إلى أن أفرزت ملامح السودان الحديث.

ومن أهم مميزاتها:

- الصناعات اليدوية: أهمها الفخار السود المميز بخطوطه البيضاء المتقاطعة ذات الزخارف الهندسية للملوءة بعجينة أو بلون أبيض. وتعتبر أواني هذه الفترة من أجمل

1. Arkell, A.J.: Veria Sudanic, JEA, Vol. 36, 1950, pp. 24-40. Leclant J.; Egypt in Nubia during the Old, Middle and New Kingdoms Africa in Antiquity, Vol. 1, the asseys, 1978, pp. 62-73, p. 63.

2. Adams W.Y.: The first colonial Emire-Egypt in Nubia 3200 – 1200 B.C, CSSH vol. 26, 1984, No. 1, pp. 36-71, p. 42.

3. Trigger B.: Nubia under the Pharaohs, Camelot Press, London, 1976, p. 44-6.

4. Adams: 1977, p. 133.

5 هنالك بعثة فرنسية تعمل في المواقع التي يعتقد أنها مواقع المجموعة الثانية.

6. Emery, B. W.: Nubian Treasure, Methuen, London, 1948, p. 18.

7. Arkell: Op. cit., p. 67.

8. Adams: Op. cit., p. 147.

فنون الخزف النوبية. كما تميزت بصناعة الدمى، أو التماثيل الصغيرة من الطين، التي تمت الإنسان والحيوان، ولم يوجد لها مثيل إلا في حضارة كرمة (مملكة كوش الأولى) المعاصر لها. وعرفوا أيضاً صناعة أدوات الزينة التي شملت أقراط الصدف والخرز والحجول من الحجر والصدف والعظم والعقود (خرزها من الذهب والفضة). وكذلك وجدت لهم أحزمة وتعويدات من الطين والعاج. وكل هذه الصناعات تقف شاهداً على أصالة هذه المجموعة، وبُعدها عن التأثيرات المصرية، وعلى الرغم من وجود بعض الأدوات المصرية في مواقعهم، إلا أن أكثر الموجودات كانت محلية.

- في مجال العمارة والاستيطان: قام أهل المجموعة (ج)، ببناء منازلهم من الطوب الأحمر (الآجر)، وبنوا القرى والحصون، وهو خير دليل على ريادتهم لحياة مستقرة، فبعض المنازل متعددة العرف الدائرية أو المستطيلة الشكل.
- دلائل الرخاء والثراء: هناك دلائل تشير إلى الرخاء والثراء عند أهل المجموعة، وربما مثلت تربية الحيوان دعامة اقتصادهم الأولى، خاصة الماشية التي مثلت مصدراً للثروة إلى جانب اعتباراتها الدينية والاجتماعية، فقد احترفوا رعي الأبقار ذات القرون الملتوية، وكانوا يرسمون أشكال الأبقار على الخزف والشواهد الحجرية الكبيرة لاعتقاد جنائزي (أي أنها تمدهم باللبن - غذائهم الرئيس عندما يموتون).
- المعتقدات وعادات الدفن: ومن ناحية المعتقدات والدفن، فقد تميزت مقابر المجموعة الثالثة، بكبر حجمها، فهي مستديرة الشكل الخارجي من الحجارة والحصى، أما البناء التحتي، فهو عبارة عن حفرة بيضاوية أو مستطيلة الشكل. أما الميت فيدفن في شكل قرفصائي، ويغطى بغطاء من الجلد. وهناك مقابر كبيرة مستطيلة الشكل من الحجارة، ونوع ثالث به معبد جنائزي من الطوب الأخضر من ناحية الشرق، واتجاه الدفن عموماً إلى الشمال والجنوب. وفي مقابرهم الكثير من مكونات الأثاث الجنائزي، الذي يحتوي على الفخار وأسورة حجرية، عظمية وعاجية، وحلقات من الصدف، وعقود من العظم والفيانس وصنديل من الجلد ومرآة من البرونز والأسلحة البرونزية في بعض المقابر، كما عُثر في جباناتهم

على مقابر خاصة لبعض الحيوانات مثل الكلاب والكلاباش مدفونة بعناية، إلى جانب كثير من عظام الماشية والأغنام، مما يدل على وجود عادة التضحية بالحيوان.

استمرت فترة تأثير المجموعة الثالثة فترة طويلة من الزمن رغم أن هنالك بعض التغيرات التي حدثت في عاداتهم في الدفن وفي تصميم مقابرهم¹، وهذه التحولات ترجع لطول الفترة الزمنية التي استمرت فيها ثقافة هذه المجموعة، التي بدأت مع نهاية المملكة المصرية القديمة، واستمرت مزدهرة في خلال فترة الاضمحلال المصري الأولى، وفترة الدولة الوسطى، ثم فترة الاضمحلال الثانية وحتى ظهور الدولة المصرية الحديثة.



حضارة كرمه:

لمدة ثلاثة أو أربع قرون انعدمت المعلومات المؤكدة عن بلاد كوش². ولكن يبدو أن الشعب الكوشي المزدهر الذي كان يقطن منطقة كرمه، قد حقق مكتسبات كبيرة خلال هذه الفترة الوسيطة³، وكنتيجة طبيعية لذلك انتعشت القبائل الكوشية، وأصبحت قادرة على تأسيس ثقافة محلية قوية بفضل الثراء الذي حققته من خلال نصيبها الكبير من أرباح التجارة مع مصر.

وهي بمثابة التطور بالنسبة لحضارة المجموعات، أو أي ثقافة محلية مغلقة في منطقة دنقلا⁴. وقد وجدت آثار مختلفة في المنطقة الواقعة ما بين فركه وصولب تشير إلى نوع من الارتباط بين المجموعة الثالثة وثقافة كرمه الكوشية⁵، فثقافة كرمه التي يمكن

1. Emery: Op. cit., p. 19.

2. Reisner: Op. cit., p. 15.

3. Ibid, p. 16.

4. Trigger: Op. cit., p. 95.

5. Arkell: Op. cit., p. 67.

اعتبارها إحدى حلقات التطور الثقافي والاجتماعي في بلاد كوش، كانت امتداداً للثقافات السابقة لها، والسكان السودانيون، وربما انحدروا من سلالة الدولة المصرية، وكانوا لا يزالون بدويين وغير منظمين ويعتمدون في معيشتهم على الصيد والقنص^١. وكانت لكرمه نشاطات تجارية واسعة، وكان فخار كرمه بإشكاله وألوانه المختلفة أهم السمات التي تميز هذه الحضارة، ومن آثارها الباقية الدفوفتان الغربية والشرقية (الصورة رقم ٢).

الدفوفة الغربية:

هي مبنى ضخم جداً من الطوب اللبن اللآجر، جنوب الشلال الثالث على نهر النيل، به نتوء في الناحية الجنوبية بنفس طول الدفوفة، ومبني من الطوب اللبن أيضاً. تبلغ أبعاد الدفوفة حوالي ٣٠ متراً طولاً، و٢٥ متراً عرضاً، وارتفاعها حوالي ٢٠ متر، ومقاسات الطوب ١٢×١٧×٣٥، ولا يوجد لهذه المباني العملاقة شبيهه في العالم. وأهم المعلومات عن كرمه قدمتها البعثة السويسرية بقيادة شارلس بوني ١٩٧٨ - ٢٠١١، حيث عثر على دلائل أثرية جديدة، لذا يعتقد أن الدفوفة عبارة عن مبنى ذو طبيعة دينية، وأنه كان أصلاً معبداً من طراز المعابد المنتشرة في وادي النيل في تلك الفترة.



الدفوفة الشرقية:

أما الدفوفة الشرقية، فهي أيضاً مبنى ضخم من الطوب اللبن، وتبعد حوالي ٤ كلم إلى الشرق من الدفوفة الغربية، وهي عبارة عن معبد جنازي في الجزء الجنوبي من الجبانة الرئيسية لمملكة كرمه، فهي مدفن حكام وسكان فترات حضارة كرمه المتعاقبة.

1. Reisner: Op. cit., p. 63.

مميزات حضارة كرمه:

من أهم مميزات حضارة كرمه شكل وحجم المقابر، حيث بلغ قطرها حوالي ٩٠ متراً، وارتفاعها أكثر من ٥ أمتار، والحفرة بيضاوية ودائرية، ويتم دفن صاحب القبر على عنقريب (سرير من الخشب)، مغطى بملاءة أو مفرش من الجلد، ويغطي بجلد آخر. ويحيط به وعلى أطراف الحفرة الأثاث الجنائزي المكون من عدة أشياء منها الأواني الفخارية وأدوات الزينة.

عرفت حضارة كرمه عادة الضحايا الحيوانية مثل (الخراف والكلاب والقطط والأبقار)، وقد ظهرت عادة الضحايا البشرية، ففي بعض المقابر الكبيرة خاصة الحكام، بلغ عدد الضحايا بين ٢٠٠ - ٣٠٠ شخص معظمهم من النساء والأطفال، مع وجود أعداد من الرجال، وفي المقابر الأخرى يتراوح العدد ما بين ١ - ١٢ شخص. ولم تستمر عادة الضحايا بالقرابين.

أهم ما يميز حضارة كرمه الصناعات المتقدمة التي عُثر على بقاياها في مواقع متفرقة، أهمها الفخار، وهو نوع فريد لم يوجد له مثيل في العالم، من حيث الجمال ودقة الصنع، ومهارة التصميم.

ولا يعرف إلى أي مدى اتسعت هذه الحضارة جنوب أرقو^١. ولكنها اختفت مع بداية الغزو المصري على يد أحمرس الأول مؤسس الأسرة الثامنة عشر المصرية، وكان تحتمس الأول (١٥٣٠-١٥٢٠ ق.م)، هو الذي أكمل غزو شمال السودان، فاحتل عملياً كل المنطقة الواقعة ما بين كرمه وكركس التي تقع على بعد ٥٠ ميلاً جنوب أبو حمد، وبذلك آلت بلاد كوش للسيطرة المصرية^٢.

الأثر المصري:

منذ حضارة الشهبين والفيوم (العصر الحجري الحديث)، كان هنالك تشابهاً بين مصر وبلاد كوش لارتباطهما بالنيل، ولأن هذه الحضارات قامت أصلاً على ضفاف النيل الذي تتسرب خلاله المؤثرات لكل من البلدين.

1. Save Soderbergh T.: The Nubian Kingdom of the second intermediate Period Kush, iv 1956, pp. 54-61.

2. نجم الدين محمد شريف: النوبة قبل نباتا في كتاب تاريخ أفريقيا العام، ج٢، إشراف جمال مختار، ١٩٨٥م، ص ٢٦٨.

وأول ذكر مباشر للجنوب (بلاد كوش) في النقوش المصرية إشارة ترجع لفترة حكم الملك سنفرو...، وكان ملكاً عظيماً حتى ٢٩٠٠ ق.م، وكان عصر الدولة الحديثة عصر تقدم صناعي في بلاد كوش، وقد ازدهرت في تلك الفترة كثير من المراكز السكانية السودانية^١.

ويرى كل من رايزنر^٢ وإمري^٣ وأركل^٤ وسيف سودريبرج^٥، أن منتجات بلاد كوش كانت دافعاً قوياً للحكام المصريين لغزوها واحتلالها أحياناً، واستغلال ثروتها، وقد ظهرت منتجات (النوبة) مثل سن الفيل وريش النعام والذهب وغيرها في الآثار المصرية. وعلى الرغم من أن الأثر المصري - مثلاً في زمن الدولة الحديثة - كان يتركز في المدن والمراكز التجارية الكبرى، إلا أنه سرعان ما كان يصحبه تحول ثقافي واسع يمكن أن نتصور أنه كان يعم كل السكان حتى صارت بلاد كوش جزءاً لا يتجزأ من المملكة المصرية - في مختلف مراحلها - وفي كثير من مظاهرها، ومعظم التغيير الثقافي والفكري والاقتصادي في بلاد كوش، كان يرتبط دائماً بالاحتلال المصري نتيجة لاهتمام فراعنة مصر بهذه البلاد التي شكلت أهم مصادر الثروة عندهم، لاحتوائها على معدن الذهب وبعض المنتجات الحيوانية الأخرى، التي لا توجد في مصر، إضافة إلى حوجتهم للعنصر البشري، فقد اشتهر الكوشيون بأنهم مقاتلين شرسين، فكان الفراعنة يسعون لتركييز السكان وتجميعهم في مراكز سكانية بتشبيد المعابد.

نسبة لقلة الحفريات والبحوث، فإن ما يعرف عن المائتين سنة ما بين نهاية المملكة الحديثة وبداية الأسرة الخامسة والعشرين قليل جداً، ولم يعرف ما الذي حدث في بلاد كوش خلال هذه الفترة، ولكن يبدو أن السكان المحليين كانوا قد عاشوا نوعاً من الاستقرار أدى في النهاية إلى ظهور تلك الدولة القوية التي عرفت بالأسرة الخامسة والعشرين السودانية.

1. Reisner: Op. cit., pp. 6-7.

2. Ibid., pp. 1-9.

3. Emery: Op. cit., pp. 18-20.

4. Arkell: Op. cit., 1-19.

5. Save Soderbergh: The painting in the Tomb of Jehty Heteb at Debeira-Kush, viii 1960, pp. 25-53.

١. تأسيس دولة كوش:

ويبدو أنه أثناء فترة الأسرة الحادية والعشرين أصبحت السيطرة السياسية المصرية في بلاد كوش مرنة وضعيفة^١. ومع نهاية الأسرة الثانية والعشرين أصبحت كوش مستقلة سياسياً عن مصر^٢. ويبدو أنه خلال هذه الفترة تأسست إمارة مستقلة تحت حكم حكام محليين في المنطقة الواقعة ما بين دنقلا ونبتة.

لم يحدد بعد بصفة قاطعة متى تأسست هذه الإمارة، ويعتبر الآرا الزعيم الأول المعروف لهذه الأسرة، الذي لم تعرف كيفية وصوله للحكم، وفترة حكمه ومقبرته^٣. واستناداً على حقيقتين هما: زواج الأخوات في الأسرة المالكة، والطاعة التي كان يهبها الآرا لأمون، فإنه من الممكن اعتبار أن مؤسس الأسرة الكوشية الحاكمة كان وريثاً منحدرًا من حكام كوش القدماء، وربما حكام كرمه. وربما ضعف مركز هذا البيت نتيجة للاحتلال المصري في زمن الدولة الحديثة، وبعد غيابها ظهر من جديد، وأعاد حكم أجداده، وربما يكون هذا المؤسس هو الآرا نفسه، أو أي من أسلافه علماً بأن الاحتلال المصري استمر لمدة خمسة قرون تقريباً.

كاشتا (٨٠٦-٧٥١ ق.م^٤) هو أول ملوك دولة كوش المعروفين، والذين وجدت أسماؤهم وآثارهم، وينتمي للجيل السادس للأسرة الكوشية اعتماداً على قائمة رايزنر للملوك، وقبل كاشتا وجدت مقابر خمسة أجيال، فإذا كان كل جيل يمثل بثلاثين عاماً فإن الخمسة أجيال تغطي حوالي ١٥٠ سنة، فإن هذا التسلسل يمكن أن يحدد فترة حكم صاحب المقبرة (Ku.tum.1) ويقع ما بين ٩٥٠ - ٩٢٠. ومن هذا التقدير يمكن أن يفترض أن تأسيس دولة كوش الفعلي ربما بدأ بأحد هذين التاريخين، ولكن في البداية لم تظهر دولة قوية مستقلة، وإنما ظهرت كذلك في منتصف القرن الثامن قبل الميلاد.

1. Dunham: Op. cit, p. 5.

2. Reisner, G. A.: Outline of the ancient history of the Sudan, S.N.R., iv. 1921, p. 67.

3. Arkell: Op. cit., p. 121.

4. اختلف العلماء حول فترة حكم بعض الملوك الكوشيين، مثلاً الملك كاشتا، أورد آدمز الفترة المذكورة أعلاه، وذكر ككتشن ٧٦٠-٧٤٧ ق.م (Kitchen: 1973, p. 468)، وحددها شيني ب ٧٦٠-٧٥١ ق.م. أو ٧٥١-٨٠٦ ق.م. حيث يوجد خطأ مطبعياً في فترة حكم هذا الملك (Shinne. 1967, p. 58)، وعليه سيعتمد الباحث في كتابه فترات حكم الملوك الواردة في هذا البحث على قائمة آدمز (Adams: 1977, pp. 251-252) أنظر القائمة الكاملة ملحق رقم (٤).

ب. دور المعتقدات الدينية في تأسيس دولة كوش:

تزايد أهمية البحوث في طبيعة العقائد الدينية في المجتمعات القديمة لأن الحضارات الإنسانية فيها نشأت تحت رايات معتقداتها، وجاءت معظم آثارها الخالدة إفراناً طبيعياً لتلك المعتقدات، وكثيراً ما تعدى تأثير هذه المعتقدات... العبادات والشعائر الخاصة إلى التأثير على نظم الحكم والتقاليد العامة¹.

وقد لعبت المعتقدات الدينية في بلاد كوش، وبصفة خاصة العقيدة الأمونية، دوراً كبيراً في تأسيس هذه الدولة. وكانت الأهمية الدينية من العوامل التي ساعدت على تركيز الحالة الاستيطانية، فقد كانت المعابد مراكز لجميع استيطانية². وبناء المعابد في كوش يرجع إلى عهد الدولة المصرية الوسطى، إذ أن سنوسرت الثالث كان قد بنى قلعتين على جانبي مدخل الشلال الثاني، وشيّد معبداً في كل واحدة منها. وربما حوت كل قلعة من قلاع الدولة الوسطى معبداً³. ويعتبر قريفت⁴ أن منطقة الشلال الرابع، كانت آخر حدود الإمبراطورية المصرية من جهة الجنوب، ويرى أن وجود سكان قاطنين في هذا الإقليم يرجع إلى عهد تحتمس الثالث. وربما كان هؤلاء السكان يتمركزون حول المعابد. فقد كشف التنقيب الأثري عن آثار معابد أمونية سبق وأن شيّدت في كوش في عهد الدولة الحديثة⁵. وأهم معابد الدولة الحديثة كان في سمنه، ويقف في مكان معبد سبق وأن شيّد في نفس الموقع على نفس الطراز، بناه أو كمله على الأقل تحتمس الثالث، ومعبد تهارقو في سمنه شيّد بالقرب من معابد تحتمس فيها⁶.

1. عمر حاج الزاكي: الإله آمون في مملكة مروي (٧٥٠ ق.م - ٣٥٠ م)، مطبوعات كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، كراسة رقم (٥) ١٩٨٣ م، ص ١.
2. أحمد مُحمّد علي حاكم: من ملامح الحضارة المروية في السودان، مجلة الدراسات السودانية العدد الأول، المجلد الرابع، يونيو ١٩٧٣ م، صفحات ٨٣-٩٧، ص ٩٥.
3. Budge, W.E.A.: A history of Ethiopia, 2 Vols, London, 1928, Vol. 1, p. 3.
4. Griffith: Op. cit., p. 9.
5. عمر حاج الزاكي: مرجع سابق، ص ٦١.
6. Dun ham, Dand. Janssen, J.M.A.: Second cataract forts, Vol. 1, Boston, 1960, p. 8.



كانت مناطق الكرو والبركل تمثل أهم المراكز السكانية في بداية دولة كوش، ويرجع ذلك لقدم المعابد في هذه المواقع، ويبدو أنها كانت تمثل مراكز إشعاع روحي يجذب السكان الذين كانوا يجوبون في تلك الأقاليم. وعليه فإن وجود هؤلاء السكان حول المعابد ربما عجل بقيام دولة كوش.

وتؤكد أهمية دور المعتقدات الدينية في كوش منذ بدايتها، حقيقة أن كل المعابد قد شيّدت من الحجر بأنواعه المختلفة: جيري، رملي... الخ، وأن اهتمام الملوك بالمعابد كان أشد وأقوى من اهتمامهم بالقصور الملكية، والدليل على ذلك هو بقاء كل المعابد أو أثارها، بينما لم يتبق إلا آثار عدد قليل من القصور في مواقع متفرقة. وحتى عندما أصبح اليم الجنوبي من المملكة (فترة مروى) أكثر أهمية من الناحية السياسية، فقد ظلت المعتقدات الدينية تلعب نفس الدور الهام الذي كانت تلعبه من قبل، والملاحظة الجديدة هي ظهور الآلهة المحلية مثل الإله أبيدمك أو (آبادماك)، ولكن من حيث التأثير فقد زلت المعابد هي الأهم، ولا تزال في مواقع النقعة والمصورات تقف المعابد وتظهر آثار البعض الآخر، بينما لم تكتشف حتى الآن أي قصور ملكية مؤكدة، وقد ساهمت هذه المعابد في تجميع الرُّحل الذين كانوا يتجولون في مراعي أرض البطانة، وساعدت على استقرارهم مما جعل آثار هذه المواقع تبدو وكأنها مواقع ضخمة جداً.

وقد لعبت المعتقدات الدينية عموماً، والعقيدة الآمونية بصفة خاصة، دوراً أساسياً في تأسيس واستقرار واستمرار دولة كوش، إذ أن قراءة نقوش ملوك هذه الدولة تؤكد الأهمية الكبيرة للجانب الديني، بدرجة أن معظم ألواحهم يغلب عليها طابع اللوحات الدينية. وقد شكل الإله آمون، وربما أبيدمك في الفترة الأخيرة نقطة انطلاق لكل النشاطات الكوشية. فكل الملوك تلقوا الملكية والسيادة والقوة من الإله آمون،

وقضوا على أعدائهم ومنافسيهم بفضل رضاه وقوته، وبرروا به كل أفعالهم وورغباتهم، وتظهر هذه الصورة بوضوح أكثر في نصوص إعتلاء العرش أو تسجيل الانتصارات وغيرها.

وقوة دور المعتقدات الدينية، ربما كان بسبب ضعف أو غياب العوامل العادية التي تؤثر في توطين واستقرار السكان، مثل رابطة الدم أو اللغة أو غيرها من عناصر روح القومية التي تشد مجموعة من السكان إلى إقليم محدد.

ج. أصل الكوشيين:

اختلف علماء الآثار والمؤرخين حول أصل الملوك الذين حكموا السودان ومصر، وعرفوا بالأسرة الخامسة والعشرين، ويعود ذلك إلى أن الآثار الكوشية لم تلق الاهتمام والبحث الكافي، وكان علماء المصريين الأوائل الذين نقبوا عن الآثار السودانية، يعتمدون في معرفة تاريخ كوش على ما ورد في السجلات المصرية أو مقارنة، ونسبة آثار هذه الدولة مع آثار دول أخرى معاصرة، أو سابقة لها خاصة مصر الفرعونية.

ونسبة للعلاقات الممتدة عبر الحقب التاريخية، فإن أسلاف الأسرة الخامسة والعشرين وملوكها، كانوا قد تأثروا بالحضارة والثقافة والديانة المصرية، الأمر الذي جعل ملامح التمصير تبدو واضحة على هذه الأسرة ذات الخلفية الكوشية، التي انحدرت من حكام كرمه القدامى¹. وفي الكرو بالقرب من جبل البركل توجد أقدم مدافن البيت الحاكم، وقد استمرت الكرو مقابراً ملكية حتى عهد تانوت أمني، وقد حملت مقابرها بعض مميزات حضارة كرمه².

ويقول رايزنر³ أنه ومن خلال ارتباط ملوك الأسرة الخامسة والعشرين بمقابر السلف في الكرو، أصبح واضحاً أن موطن هذه الأسرة القوية، ومقر الحاكم كان في الكرو، ولكنه نسب ملوك هذه الأسرة للأصل الليبي لاعتقاده بأن كاشتا حفيداً لأحد الملوك الليبيين، ولعثوره على رؤوس سهام تشبه السهام الليبية شكلاً ونوعاً. وأيده آخرون، أما بيدج فقد وصف هذه الحضارة بأنها مصرية، وأن ملوكها مصريين، وأن

1. Emery: 1965, p. 208.

2. Trigger: Op. cit., p. 142.

3. Reisner: 1917, pp. 238-247.

كاشتا ابن الحاكم، وتزوج من أميرة مصرية، كذلك اسم الملك بيبي (بمانخي¹ ٧٥١ - ٧١٦ ق.م) يشبه الأسماء المصرية^٢، وقد أيدته كثيرون في هذا الرأي.

وقد ظهر منذ وقت بعيد ضعف هذين الاتجاهين، نسبة لضعف الحجج والبراهين التي أوردها أصحاب النظريتين، وبإعادة النظر والقراءة المتأنية، وتقدم وسائل الحفريات، توصل عدد من العلماء إلى حقائق جديدة مكنتهم من دحض آراء أولئك الدارسين، وقد أوردوا كثيراً من الأدلة التي تشير إلى أن حضارة كوش حضارة سودانية، أو محلية أصيلة، وإن كانت قد تأثرت بمن حولها، خاصة الحضارة الفرعونية.

فهناك كثير من الملامح في هذه الحضارة، يبدو وكأنها مأخوذة من حضارة المجموعة الثالثة^٣. واتضح أن الكيفية التي اتبعت في طريقة بناء مدافن الكرو الأولى، والعادات الجنائزية التي مارسها الزعماء الأوائل، كانت فيما يبدو امتداداً للعادات الجنائزية التي سادت في الحضارات السودانية القديمة^٤.

ويسوق دانهام عدد من الحجج التي تدحض الرأي القائل بالأصل الواقد، ويرى أن معظم العادات التي وجدت في نبتة - مروى كانت موجودة منذ كرمه، وأن أصلهم المحلي ينعكس في عاداتهم في استعمال العنقريب في الدفن^٥.

وعلى الرغم مما ذهب إليه بعض العلماء، إلا أن الحضارة الكوشية لها خصائصها التي تميزها عن الحضارة المصرية، ولكن يبدو أن تطابق المظاهر، وتشابها قد فسره أولئك العلماء بأنه عملية تبعية مباشرة، لكن كان ذلك تأثراً عادياً، لم يخف ملامح تلك الحضارة العظيمة، التي لا تزال آثارها تقف شاهداً على مدى التقدم والتطور الذي

1 الاسم الذي كان يرسم من قبل في صيغة (بمانخي)، يشتمل في الكتابة الهيروغليفية على علامة الصليب "الصليب المدلى من أنشودة"، التي كانت تطلق "منخ" في اللغة المصرية، لكن هذه العلامة - فيما يبدو - تعتبر عند المرويين مجرد رمز يزيد على الحياة، ويتطابق في المعنى جذر كلمة P (e) Y في لغة أهل مروى، الذي يؤدي على الصيغة (Peye) التي تستعمل عادة في الوقت الحاضر. وعليه ينبغي أن يكتب اسم بمانخي من الآن فصاعداً في صورة بين (ح لكلان، مرجع سابق، ص ٨٢)؛ راجع كذلك كتاب (Adams, 1977, p. 70)، ونعمات عبد الجبار: مظاهر المقر عند ملوك الأسرة الخامسة والعشرين الكوشية، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، ١٩٨٨م، غير منشورة، ص ١٩. وعليه فإن الباحث يفضل التعامل مع الاسم في صورة بيبي.

2. Budge: OP. cit., 26.

3. Trigger: Op. cit., p. 143.

4. Arkell: Op. cit., pp. 119-121.

5. Dunham: 1947, pp. 2-5.

حدث في بلاد كوش. وقد كان ذلك التطور - الاقتصادي والسياسي والاجتماعي - الذي شهدته كوش هو الأساس الذي قامت عليه هذه الحضارة العريقة الراسخة. فمئذ ٤٠٠٠ ق.م وغلى ما بعد حضارة كرمه، كانت الكومة الترابية - التي وجدت في مقابر الكرو الأولى - سمة مميزة في السودان^١. إذا فليس هنالك أي سبب لافتراض أن ملوك الأسرة الخامسة والعشرين لا ينتمون إلى المنطقة المحلية. ويبدو أنهم من أصل محلي حدث لهم عمليات تمصير نتيجة لاتصالهم الوثيق بمصر، وبكهنة آمون في طيبة وجبل البركل على أيام الاحتلال المصري في زمن الدولة الحديثة^٢.

ولم يُعرف حتى الآن إلى أي مدى اتسعت هذه الحضارة في الاتجاهات الثلاثة غير الشمال، ولم يتعقب آثار تلك الحضارة في الشرق والغرب والجنوب، وسيظل هذا الحال على ما هو عليه، حتى يلتفت المهتمين في مجال الآثار، وتوجه الجهود في هذه الاتجاهات، وربما تكشف أسرار كثيرة عن تأسيس دولة كوش والموطن الأصلي الذي قدم منه ملوك تلك الأسرة، والحدود التي وصل إليها نفوذهم، والثابت أنهم حكموا أقاليم دنقلا، برير، الخرطوم، النيل الأزرق وإقليم الجزيرة، وأجزاء من النيل الأبيض^٣.

وقد خلد أصحاب هذه الحضارة أنفسهم، ونحتوا على جدار التاريخ أروع تذكارات، ولا تزال آثارهم باقية تقف شاهداً على مدى التقدم والتطور الذي أحدثوه في بلاد كوش.

ومن العرض السابق، تؤكد أصالة ملوك العائلة المالكة، التي حكمت السودان ومصر وعُرفت بالأسرة الخامسة والعشرين، واستمر حكمها في كوش حتى منتصف القرن الرابع الميلادي، وقد تؤكد ذلك أولاً لضعف الآراء التي تقول بالأصل الأجنبي، وقوة الأدلة التي تؤكد أصالة هذه الأسرة، وقد تلخصت هذه في النقاط التالية:

١. الكومة الترابية التي بدأت بها مقابر الكرو، كانت سمة مميزة لمقابر بلاد كوش منذ فترة حضارة المجموعات الثالثة وكرمه.

٢. عادة الدفن على العنقريب (السريخ الخشبي)، التي وجدت في مقابر الكرو، هي عادة كوشية مؤكدة منذ فترة حضارة المجموعات ومروراً بحضارة كرمه.

1. Arkell: OP. cit., p. 120.

2. Shinnie, P.L: Meroe - A civilization of the Sudan, London, 1967, p. 30.

3. Reisner: 1919, p. 40.

٣. عادة التحلي بالأقراط عند الرجال، عادة كوشية قديمة، وما تزال ممتدة حتى الآن عند بعض قبائل جبال النوبة بجنوب غرب السودان، وبعض القبائل النيلية الحالية كقبائل الدينكا والشلك والنوير وغيرهم.
 ٤. دفن ملوك هذه الأسرة في الكرو ونوري ومروي، وأن المصريين لم يعرفوا دفن موتاهم خارج مصر.
 ٥. تصوير أصحاب هذه الحضارة - في التماثيل والنقوش عموماً - وهم في سحنتهم الأفريقية.
 ٦. العثور على مقابر خمسة أجيال سابقة لكاشتا في الكرو، واستمرار دفن الملوك فيها (عدا تهارقو)، أي أن كل ملوك الأسرة الخامسة والعشرين دفنوا في الكرو (ما عدا تهارقو دفن في نوري).
 ٧. بعد فقدانهم لمصر رجعوا إلى بلاد كوش، واستقروا فيها كموطن أصلي.
- وعلى الرغم من كل ذلك، فقد تقاضى كثير من العلماء عن الدور الذي لعبه الكوشي في صنع حضارته، وتفردته بسماته الخاصة، حتى وصل بهم الحد نسبة هذه الأسرة للأصول المصرية أو الليبية، وذلك في رأي الباحث يرجع الأسباب الآتية:
١. عدم التخطيط لاختيار المواقع التي يجري فيها التنقيب الأثري، وغياب هيئة أو جهة تنظم ذلك العمل في الفترات السابقة لتأسيس مصلحة الآثار.
 ٢. بدائية وسائل التنقيب في ذلك الوقت، وندرة المعلومات عن بلاد كوش، مقارنة مع وسائل التنقيب وكمية المعلومات الحالية.
 ٣. الاحتكاك اللصيق، والاتصال الوثيق بين السودان ومصر عبر الحقب المختلفة.
 ٤. كل الباحثين وعلماء الآثار الأوائل - تقريباً - الذين أسسوا لهذا النشاط في السودان، كانوا من علماء المصريين، أو الملمين بالتاريخ المصري، لذلك فقد سهل عليهم ربط تاريخ السودان بالتاريخ المصري في كل مراحل.
 ٥. نقل الآثار السودانية من مواقعها إلى مواقع أخرى خارج السودان، أو داخله، وعدم نشر النتائج الكاملة لأعمال التنقيب.

تعتبر العصور القديمة من أكثر العصور غموضاً وبعداً عن تناول الدارسين والباحثين، وطلاب الدراسات العليا في أغلب بلدان أفريقيا والوطن العربي، لصعوبة البحث فيها، وما يتطلبه من جهد شاق ومضني، لذلك ظل تاريخنا القديم بعيداً عن تفاعلات الحاضر، وبالتالي بعيداً عن استشراف آفاق المستقبل، فربما ساهم التاريخ القديم في إيجاد روابط بيننا، لأن الإنسان القديم كان يتحرك بحرية تامة في كل الاتجاهات، حسب حاجته وقدرته على الحركة، هنالك تشابه في آثار العصور المختلفة بين شرق وشمال وغرب أفريقيا من ناحية أخرى. فلعل دراسة التاريخ القديم تثبت أن الأصل واحد ومشارك وأن الحدود الحالية لا تمثل إلا تجزئة تزيد يوماً بعد يوم حتى داخل القطر الواحد.

أولاً: العربية:

١. أحمد مُحمَّد علي حاكم: من ملامح الحضارة المروية في السودان، مجلة الدراسات السودانية العدد الأول، المجلد الرابع، يونيو ١٩٧٣م، صفحات ٨٣-٩٧.
٢. عمر حاج الزاكي: الإله آمون في مملكة مروى (٧٥٠ق.م-٣٥٠م)، مطبوعات كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، كراسة رقم (٥) ١٩٨٣م.
٣. مُحمَّد إبراهيم بكر: المدخل إلى تاريخ السودان القديم، المطبعة الفنية، القاهرة، ١٩٦٨م.
٤. نجم الدين مُحمَّد شريف: النوبة قبل نباتا في كتاب تاريخ أفريقيا العام، ج٢، إشراف جمال مختار، ١٩٨٥م.

ثانياً: الأجنبية:

1. Adams W.Y.: The first colonial Empire-Egypt in Nubia 3200 – 1200 B.C, CSSH vol. 26, 1984, No. 1, pp. 36-71.
2. Adams, W. Y.: Nubia Corridor to Africa, London, 1977.
3. Arkell, A.J.: Veria Sudanica, JEA, Vol. 36, 1950, pp. 24-40
4. Arkell, A.J: A history of the Sudan from the earliest times to A.D., 1821, second edition Oxford University, 1961.
5. Budge, W.E.A.: A history of Ethiopia, 2 Vols, London, 1928, Vol. 1, p. 3.
6. Dun ham, Dand. Janssen, J.M.A.: Second cataract forts, Vol. 1, Boston, 1960.
7. Emery, B. W.: Nubian Treasure, Methuen, London, 1948.
8. Emery, W.M.B.: Egypt in Nubia, London, 1965,.
9. Hintze F.: Civilization of the Sudan, Kerma-Kush-Christian Nubia, (Translated) from German by Peter Prchnik, Amsterdam, 1968.
10. Leclant J.; Egypt in Nubia during the Old, Middle and New Kingdoms Africa in Antiquity, Vol. 1, the asseys, 1978.
11. Reisner, G. A.: Outline of the ancient history of the Sudan, S.N.R., iv. 1921.
12. Save Soderbergh T.: The Nubian Ringdom of the second intermediate Period Kush, iv 1956.
13. Save Soderbergh: The painting in the Tomb of Jehty Heteb at Debeira-Kush, viii 1960.
14. Shinnie, P.L: Meroe – A civilization of the Sudan, London, 1967.
15. Trigger B.: Nubia under the Pharaohs, Camelot Press, London, 1976.